

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى صحبه وآله ومن اهتدى بهداه
وبعد: ففي الأزمنة المتأخرة ظهر الاحتفاء ببداية العام الهجري بصورة التهئة به، وهو
احتفاء تدريجي في ظهوره من غير أهل العلم وطلبته، ثم شكل ظاهرة في احتفاء بعض طلبة
العلم به إفتاء وتقريراً، ثم ممارسة وسلوكاً.

وهو تدريجي في مظاهره، فبدأ الاحتفاء بالتهئة، وبمقتضى العادة في ظهور المحدثات
تدريجياً، ستتشكل مظاهر آخر.

ويظهر لي - والعلم عند الله - أن الاحتفاء ببداية العام الهجري من المحدثات التي ينهى
عنها، ويحذر منها؛ لعدة أمور، وهي:

أولاً: إن بداية العام الهجري موسم يتكرر، كما يتكرر العيد وسائر المواسم التي يحتفى
بها، وهذا التكرار هو ألصق معنى في العيد؛ لأنه مأخوذ من العود مرة بعد أخرى، ولهذا سمي
عيداً، فشابه العيد في هذا المعنى، كما شابهه بالتعظيم وهو الاحتفاء به بالتهئة، فتحققت
المشابهة بالتكرار وبالشعار، فيكون من المحدثات المنهي عنها؛ إذ لا عيد يحتفى به إلا عيدا الفطر
والأضحى، والتهئة بالعيد كثيراً ما يصحبها دعاء، والدعاء عبادة، وتخصيصه بوقت بلا دليل
من الإحداث في الدين.

ثانياً: المشابهة للكفار في جنس ما يحتفلون به من المواسم كعيد الميلاد والنيروز
والكريسمس، وصورة المشابهة متحققة في أمرين:

الأول: ربط الاحتفاء بتكرار الموسم المعين، والثاني: تعظيم هذا الموسم بنوع من التعظيم،
وهو التهئة، والتشبه بهم في ذلك منهي عنه، لحديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ» أخرجه أبو داود، وصححه ابن حبان، وقال أبو
العباس ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٦٩): «وهذا إسناد جيد»، وقال فيه أيضاً
(١/٢٧٠): «وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي
كفر المتشبه بهم»، فتحققت في التعظيم: مفسدة الموافقة، كما فاتت مصلحة المخالفة.

ثالثاً: التشبه بالكفار وأهل البدع في الاحتفاء ببداية العام الهجري، فإنه من ابتداع الدولة
العبيدية الباطنية، وهو أحد أعياد العرب في الجاهلية، فقد ذكر المقرئزي: أن اليوم الأول من
محرم معظم عند ملوك العرب بالهناء، وأن الدولة العبديية (الفاطمية !) تحتفل بهذا اليوم،

يفرق فيه الخليفة ما أعد لهذه المناسبة من الدنانير والمأكولات التي تعم الجميع، وتعرف برسوم الركوب. [ينظر: الأعياد للدكتور: سليمان السحيمي ص ٩٠-١٣٧].

فالاحتفاء ببداية العام الهجري بالتهنئة هو عين احتفاء أهل الجاهلية به بالهناء، فيكون فيه تشبه بهم، كما أن فيه تشبهاً بأهل البدعة والضلال، وهم العبيدية.

رابعاً: جنس الاحتفاء بالأيام منهي عنه في قول النبي ﷺ: « يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا » متفق عليه من حديث عائشة -رضي الله عنه-، وهذا أسلوب حصر، فإن جزأي الجملة، - وهما المبتدأ والخبر- كلاهما معرفة، فيقتضي قصر العيدين عليهما، ويستلزم النهي عن إحداث عيد سواهما، كما يدل عليه حديث أنس -رضي الله عنه- قال: - قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: « قَدْ أَبْدَلَكُمُ اللَّهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ » أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حَجْرٍ وَغَيْرُهُ.

خامساً: إن أي شعار يخصص به يوم معين بمثل ما يظهر في العيد على وجه البهجة والسرور، هو من باب التعظيم لذلك اليوم، ويدل عليه حديث أنس السابق، فإن الذي حصل من الأنصار مجرد لعب وبهجة بهذا اليوم، فسماه النبي ﷺ عيداً، ونهى عنه.

سادساً: إن الاحتفاء بالمواسم المحدثه يكون تدريجياً، فيئول بمرور الأعوام إلى المشابهة التامة للأعياد، وهذا عادة معروفة في الأعياد المحدثه، قال أبو العباس ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٣١): « إذا سوغ فعل القليل من ذلك أدى إلى فعل الكثير، ثم إذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس، وتناسوا أصله حتى يصير عادة للناس، بل عيداً حتى يضاهى بعيد الله، بل قد يزيد عليه »، ومآلات الأمور معتبرة شرعاً، وهي تقوي القول بتحريم الاحتفاء ببداية العام الهجري بالتهنئة وغيرها، كما سيكون حجة في الاحتفاء بأي يوم آخر لمناسبة يراها المحتفي كيوم ميلاده وغيره، وستكثر تلك المواسم، ويظهر فيها أنواع التعظيم.

سابعاً: إن بداية العام الهجري وجد سببه في عهد عمر بن الخطاب ومن بعده من الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم جميعاً-، فلم يرد عنهم احتفاء به بتهنئة ولا بغيرها، فدل على أن المشروع تركه، كما أن ذلك لم يرد في القرون المفضلة.

ثامناً: ما دام أن التهنئة ببداية العام الهجري لم ترد عن السلف، فإن الأولى هو الاقتداء بهم، وحث الناس على قفو آثارهم، وهذا معنى لا يتعرض له المجيزون فيما رأيت وسمعت.

تاسعاً: إن بداية العام الهجري هو من باب التنظيم، وليس عاماً عمرياً لكل أحد، وإنما العام لكل أحد هو بلوغ تمام اثني عشر شهراً، وليس لأول العام الهجري أي مزية عن سائر

الأيام، ولو عقدت مقارنة بين ميزة تمام العام وبين بدايته لكان تمامه أظهر؛ لما فيه من بلوغ نعمة التمام، وهم يهتئون في البدء، لا بالتمام، وهو أكمل، ومع هذا فكلاهما لا يجوز التهئة به.

وأما الاستدلال على جواز التهئة بالعيد بأنه من باب العادات، والأصل فيها الإباحة والجواز، ففيه نظر من وجوه:

الأول: إن إطلاق العادة عليها لا يستقيم لغة؛ إذ لم تصبح عادة، وإنما هي محدثة، فالعادة من شأنها التكرار، وأحسب أن المستدل أطلق عليها عادة من باب التجوز، وإنما أراد أن الأصل في الأشياء الإباحة، وإلا فليس من عادة الناس التهئة ببداية العام الهجري.

الثاني: أن الاستدلال بالأصل في مقابلة الأدلة الخاصة المقتضية للنهي، الناقلة عن الأصل لا يصح، فلا يصح معارضتها بالأصل، وإنما يصح الاستدلال بالأصل إذا عدت الأدلة الناقلة عنه، وعلى المستدل أن يأتي بما يرد دلالتها، ثم يستدل بالأصل.

الثالث: إن الأصل مع من يمنع، وليس مع من يبيح، فإن تعظيم الأيام بأي نوع من أنواع التعظيم بلا دليل شرعي لا يجوز، ويدل على ذلك الأدلة الناهية عن احتفاء بيوم غير العيدين، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم أدلة كثيرة، وقررها أحسن تقرير، والاحتفاء ببداية العام الهجري بالتهئة به هو مظهر من مظاهر التعظيم المعروفة بالعيد.

الرابع: إن التهئة مباحة في الأصل، كما أن اللعب مباح في الأصل، ولكن هذا المباح إذا ارتبط بما ينهى عنه لم يكن مباحاً، بل يكون منهيّاً عنه، فاللعب الذي أنكره النبي ﷺ على الأنصار مباح، لكنه لما ارتبط بيوم يعظمونه نهاهم عنه لغيره، لا لذاته، فالتهئة مثله، وقد عد أبو العباس ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (/ ١٣٣): إظهار الفرح والسرور بيوم عاشوراء من البدع المحدثه.

الخامس: على التسليم بأنها أصبحت عادة، ولو عند قوم أو بلد، فإن العادة المحدثه المخالفة للسنة ينهى عنها، قال أبو العباس ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (/ ٨٩): «لم يزل ولا يزال في كل وقت من ينهى عن عامة العادات المحدثه المخالفة للسنة»، وعن نهى عن التهئة ببداية العام الهجري الشيخ العلامة صالح الفوزان، - وهو من أئمة السنة في هذا العصر-، بل هو رأي اللجنة الدائمة للإفتاء (المجموعة الثانية: / ٤٥٤).

فإن قيل: إن الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي في فتاويه (ص ٤٨٨): جعل التهاني في المناسبات من العادات، والأصل فيها الحل.

فالجواب: أن كلامه - رحمه الله - في أصل التهئة لمناسبة عادية، وهذا ليس محل بحث، ولا موضع إشكال، وإنما الكلام على التهئة في احتفاء بيوم يتكرر كل سنة، وهذا ليس من باب العادات، وفيه محذور يتصل بالبدعة، والتشبه المنهي عنه على ما سبق تقريره.

ومن غرائب الاستدلال قول بعض المجيزين: أن التهئة ببداية العام الهجري إذا أدخلت سروراً على المسلم تكون مستحبة. وغرابته من وجوه:

الوجه الأول: إن هذا تحصيل حاصل، فإن التهئة بطبيعتها تحدث سروراً، فمن لا يسر بها؟! ولازمه أن التهئة ببداية العام الهجري مستحبة مطلقاً، إلا ممن يرى عدم جوازها.

الوجه الثاني: إن إدخال السرور على الناس ليس مستحباً على إطلاقه، وإلا لزم استحباب كثير من المباحات مما تدخل سروراً، وقد تكون من باب اللهو المباح، أو المكروه، ولا أظن أن أحداً يقول بذلك على إطلاقه.

الوجه الثالث: إنه لو سلم - جدلاً - بأن إدخال السرور على الناس مستحب على إطلاقه، فإنه لا يحكم على آحاد ما يدخل السرور بالاستحباب، فيقال: هذا المعين مستحب؛ لأنه يدخل سروراً.

الوجه الرابع: إن إظهار السرور في بداية العام الهجري يشبه إظهار السرور في يوم عاشوراء الذي نص أبو العباس ابن تيمية في كلامه السابق أنه من البدع المحدثه.

ولما رد بعض الناس تهئة من هنأه ببداية العام الهجري مبيناً عدم جوازها، قوبل بيانه من بعضهم بالتعنيف عليه، ووصفه بالتنفير، وهذا تعنيف في غير محله، فإن للمرء إذا اعتقد عدم جواز مسألة ما أن يبين ما يدين الله به، لا أن يرتكب المحذور.

ولا ينبغي أن تكون هذه المسألة مثاراً لخلاف متشنج، ولا لاختلاف مفرق، وليتفطن لما قاله أبو العباس ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/٥٤٦): «المشابهة فيما لم يظهر تحريمه للعالم يوقع العامي في أن يشابههم فيما هو حرام، وهذا هو الواقع».

وأسأل أن يصلح النية والقول والعمل، والحمد لله رب العالمين.

د. عيسى بن شباب بن محمد الحيسوني

١/١/١٤٣٤هـ